

منهج ابن القَرَّاب في الاحتجاج للقراءات من خلال كتابه "الشافي في علل القراءات"

*The methodology of Ibn al-Qarrab in providing evidence for the recitations through his book "Al-Shafi Fi Elal al-Qira'at"*مدّاح أبو بكر الصديق¹

مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا

جامعة أحمد بن بلة - وهران 1

meddah.aboubakr@edu.univ-oran1.dz

تاريخ الوصول 2024/02/22 القبول 2024/05/20 النشر على الخط 2024/06/15

Received 22/02/2024 Accepted 20/05/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة منهج ابن القَرَّاب في الاحتجاج للقراءات في كتابه "الشافي في علل القراءات"؛ وذلك من خلال تتبع توجيهاته في هذا الكتاب؛ للوقوف على منهجه في تعليل القراءات، وابتداءً البحث بمقدمة للتعريف بالموضوع وأهميته، ثم ترجمة لابن القَرَّاب، ثم دراسة منهجه في الاحتجاج للقراءات.

وأكد هذا البحث على أنّ أبرز المعايير التي اعتمدها ابن القَرَّاب في الاحتجاج للقراءات:

أولاً: القرآن الكريم: من خلال بيان الملاءمة بين القراءة وسياق الآية، ومن خلال بيان موافقة القراءة لخط المصحف، وثانياً: اللغة: من خلال إيراد معني للقراءة، وإيراد شواهد لها من كلام العرب.

الكلمات المفتاحية: ابن القَرَّاب؛ الاحتجاج؛ القراءات؛ توجيه؛ القراء.

Abstract:

This research examines the methodology of Ibn al-Qarrab in providing evidence for the readings in his book "Al-Shafi Fi Elal al-Qira'at", by tracing his directives in this book, in order to understand his approach to justifying the readings. The research begins with an introduction to define the subject and its importance, followed by a biography of Ibn al-Qarrab, and then and then a study of his methodology in providing evidence for the readings.

This research emphasized that the most prominent criteria adopted by Ibn al-Qarrab in providing evidence for the readings:

Firstly: *The Quran:* by explaining the compatibility between the reading and the context of the verse, and by demonstrating the alignment of the reading with the script of the Quran.

Secondly: *Language:* by providing the meaning of the reading, and providing evidence for it from the Arabic language.

Keywords: *Ibn Al-Karrab; Providing evidence; Readings; Explanation; Reciters.*

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد: فإن علم التوجيه من أبرز العلوم الخادمة لعلم القراءات القرآنية، واعتنى بهذا العلم أهل الاختصاص؛ كابن خالويه وابن أبي مريم ومكي القيسي وأبي الفضل الحريري وغيرهم، والمتأمل في مؤلفات هؤلاء الأئمة يتبين له مدى عنايتهم بالاحتجاج للقراءات وإيضاح عللها، ومن كان له فضل أيضا في هذا الفن، وحظي بمكانة علمية مثل هؤلاء الجهابذة: الإمام إسماعيل ابن القُرّاب، من خلال كتابه: "الشافي في علل القراءات"؛ حيث اعتمد على أصول متنوعة في تبين وجوه القراءات وعللها.

وبناء على هذا، يمكن طرح الإشكالية الآتية: من هو ابن القُرّاب؟ وما هي الأسس التي استند عليها في الاحتجاج للقراءات؟ وقد كتب أحد الباحثين بحثا له صلة بهذا الموضوع، بعنوان: "الاحتجاج للقراءات الفرشية المتواترة برسم المصحف في كتاب «الشافي في علل القراءات» لابن القُرّاب (سورة البقرة وآل عمران) - جمعا ودراسة - وهذا البحث - من إعداد: محمد بن عبد الكريم بن بَيْغَام - عبارة عن مقال منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية الصادرة عن الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (العدد: 198، السنة: 1443هـ).

واقصر الباحث في هذه الدراسة على معيار واحد من معايير الاحتجاج؛ ألا وهو: رسم المصحف، وتمثل الإضافة العلمية في بحثي على ما جاء في هذه الدراسة في التطرق لبقية المعايير الأخرى التي اعتمدها ابن القُرّاب في الاحتجاج للقراءات، والمنهج المتبع هو المنهج الوصفي في التعريف بابن القُرّاب، والمنهج الاستقرائي التحليلي في قراءة ما تيسر من توجيهات ابن القُرّاب للقراءات في كتاب "الشافي"؛ للوقوف على الأسس والمعايير التي اعتمدها في الاحتجاج للقراءات، ثم جمع أمثلة من القرآن الكريم تحت كل معيار، ثم تصنيفها وتوضيحها بالتحليل والشرح.

وخطة هذا البحث مرتبة على النحو الآتي:

1. مقدمة: للتعريف بالموضوع.
2. ترجمة إسماعيل ابن القُرّاب.
3. أسس ابن القُرّاب في الاحتجاج للقراءات.
4. خاتمة: فيها أهم النتائج مع بعض التوصيات.
5. قائمة المصادر.

نسأل الله عز وجل الإخلاص في القول والعمل، فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

2. ترجمة ابن القُرّاب

لم تتوسع كتب التراجم في التعريف بابن القُرّاب، وسيأتي في هذا العنصر نبذة موجزة عن هذا العَلم متضمنة حياته الشخصية؛ كاسمه ونسبه ومولده، وحياته العلمية؛ كشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ومكانته.

1.2. اسمه ونسبه ومولده:

هو أبو محمد إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي الهروي -نسبة إلى بلدة هراة إحدى بلاد خراسان¹ - المعروف بـ «ابن القزّاب»، أحد الأئمة الأعلام، وُلد بعد سنة 330هـ².

2.2. شيوخه وتلاميذه³ ومؤلفاته:

قرأ ابن القزّاب -أثناء رحلاته العلمية- على جماعة من الشيوخ الفضلاء، نذكر منهم:

■ أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم البغدادي العطار، أحد الأئمة القراء، ولد سنة 265هـ، أخذ القراءة عن إدريس بن عبد الكريم الحدّاد والعباس بن الفضل الرازي، وممن روى القراءة عنه: ابنه أحمد وأبو بكر بن مهران، وكان ابن مقسم عالماً بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها، توفي -رحمه الله- في اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني سنة 354هـ⁴.

■ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي، شيخ الإسلام، وُلد سنة 277هـ، روى عن الحسن بن علّويه القطن وعمران بن موسى السخّتياني وأبي يعلى الموصلي وغيرهم، ومن أشهر من حدّث عنه: أبو عبد الله الحاكم، وكان أبو بكر الإسماعيلي شيخ المحدثين، توفي -رحمه الله- سنة 371هـ⁵.

وبعد تصدّر ابن القزّاب التعليم قرأ عليه جماعة من التلاميذ، نذكر منهم:

■ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمّادويه بن نُعيم الضبيّ النيسابوري، أحد أئمة الحديث، وُلد يوم الاثنين في اليوم الثالث من شهر ربيع الأول بنيسابور سنة 321هـ، روى عن أبيه ومحمد بن صالح بن هانئ ومحمد بن عبد الله الصّفّار وغيرهم، وممن روى عنه: الدارقطني وأبو بكر البيهقي، وكان الحاكم إمام أهل الحديث في زمانه، توفي -رحمه الله- سنة 405هـ⁶.

■ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي ابن منصور بن مَتّ الأنصاري الهروي، شيخ الإسلام، وُلد سنة 396هـ، روى عن أبي منصور محمد بن محمد الأزدي وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي وأبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي وغيرهم، وممن روى عنه: أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن علي الساجي وعبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وكان أبو إسماعيل الأنصاري عالماً بالحديث والعربية والتواريخ والأنساب، توفي -رحمه الله- سنة 481هـ⁷.

¹ ينظر: عبد الكريم السمعاني، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، (1382هـ/1962م)، ج13، ص403.

² ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (1405هـ/1985م)، ج17، ص379؛ وصلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، (1420هـ/2000م)، ج9، ص40.

³ ينظر: عبد الكريم السمعاني، الأنساب، ج12، ص400، 401؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص379؛ وتاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ، ج4، ص267.

⁴ ينظر: شمس الدين الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1417هـ/1997م)، ص173، 175؛ وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، ج2، ص123-125.

⁵ ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص292، 293، 296.

⁶ ينظر: ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، (1417هـ/1996م)، ج3، ص237، 238، 243؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص162-166.

⁷ ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص503، 504، 505، 513، 515.

ولم يقتصر ابن القُرّاب على الإقراء والتعليم فقط؛ بل اشتغل أيضا بالتأليف، ومن أبرز مصنفاته¹:

- كتاب الشافي في علل القراءات: وهذا الكتاب هو مجال الدراسة، وهو من المؤلفات المخطوطة المحققة التي لم تُطبع بعد، وقد حقق هذا الكتاب ثلاثة باحثين (قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، سنة 1436هـ)، وكل باحث حقق جزءا في رسالة دكتوراه؛ حيث حقق إبراهيم بن محمد السلطان الجزء الأول (من أول الكتاب إلى آخر الآية رقم 140 من سورة البقرة)، وحقق سلطان بن أحمد الهديان الجزء الثاني (من الآية رقم 143 من سورة البقرة إلى آخر سورة يوسف)، وحقق أحمد بن عبد الله الزهراني الجزء الأخير (من أول سورة الرعد إلى آخر الكتاب).
- كتاب مناقب الشافعي، وكتاب درجات التائين، وكتاب الجمع بين الصحيحين: وهذه الكتب من المؤلفات المفقودة التي لم تصلنا.

3.2. مكانته العلمية ووفاته:

حَظِيَ ابن القُرّاب بمكانة علمية عالية شَهِدَ له بها بعض الأئمة، فقد قال عنه السمعاني (ت 562هـ): "وكان من أهل العلم والقرآن"²، وقال عنه الذهبي (ت 748هـ): "كان إماما في عدّة علوم ... وكان قُدوة في الزهد"³، وقال عنه ابن الجزري (ت 833هـ): "مقرب إمام في القراءات والفقهاء والأدب"⁴.
توفي ابن القُرّاب -رحمه الله- في شهر شعبان سنة 414هـ⁵.

3. أسس ابن القُرّاب في الاحتجاج للقراءات

تنوعت الأسس التي استند عليها ابن القُرّاب في الاحتجاج للقراءات، ومن أبرز المصادر التي اعتمدها في الاحتجاج: القرآن الكريم واللغة.

1.3. الاحتجاج بالقرآن الكريم

يُعَدُّ القرآن الكريم من أبرز المصادر التي اعتمدها ابن القُرّاب في الاحتجاج للقراءات، فبالنظر في أقواله نلاحظ أنّ المعايير التي اعتمدها للاحتجاج للقراءات استنادا على القرآن الكريم أربعة: السياق، الرسم، الفواصل، قراءات السلف.

1.1.3. السياق

ويمكن أن نعرّف هذا النوع من الاحتجاج بـ: حمل القراءة القرآنية على قرينة دالة عليها من سابق الكلام أو لاحقه في مقام خطاب الآية أو الآيات.

واعتمد ابن القُرّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

¹ ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص266، 267.

² الأنساب، ج12، ص400.

³ تاريخ الإسلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (1424هـ / 2003م)، ج9، ص231.

⁴ غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص160.

⁵ ينظر: ابن كثير، طبقات الشافعيين، مكتبة الثقافة الدينية، (1413هـ / 1993م)، ص370.

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180]

في هذا الموضع قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ويعقوب (يعملون) بالياء على الغيب، وقرأ باقي القراء العشرة (تعملون) بالتاء على الخطاب¹.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الغيب-: "من قرأ بالياء ردّه على الباخرين؛ لأنّ ذلك في صلة ذكرهم، وهو على معنى الوعيد لهم"².

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجّ لقراءة الغيب بالسياق؛ حيث ألق قوله (والله بما يعملون) بقوله (الذين يبخلون) للمجانسة بينهما من حيث مجيء الخطاب فيهما على صيغة الغيب، وبناء على هذا يكون الكلام جارياً على نسق واحد.

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ﴾ [طه: 12، 13]

في هذا الموضع قرأ حمزة (وأنا) مشددة النون و (اخترناك) بالنون والألف على الجمع، وقرأ باقي القراء العشرة (وأنا) مخففة النون و(اخترتك) بالتاء من غير ألف على الأفراد³.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الأفراد-: "وأما حجة قراءة عامة قوله: (إني أنا ربك)"⁴.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجّ لقراءة التوحيد بالسياق؛ حيث ألق قوله (وأنا اخترتك) بقوله (إني أنا ربك) للمجانسة بينهما من حيث مجيء الخطاب فيهما على صيغة الأفراد، وبناء على هذا يأتلف مقام خطاب الكلام في الآيات على سنن واحد.

2.1.3. الرسم

ويمكن أن نعرّف هذا النوع من الاحتجاج بـ: بيان الملاءمة بين لفظ القراءة القرآنية وصریح خط المصحف.

واعتمد ابن القُرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31]، وقال: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: 51]

في هذا الموضع قرأ أبو عمرو بن العلاء (حاشا) بألف بعد الشين في الوصل دون الوقف، وقرأ باقي القراء العشرة (حاش) بحذف الألف في الحالين⁵.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة حذف الألف في الحالين-: "من قرأ بغير ألف أتبع السواد"¹.

¹ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م، ص172؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى، ج2، ص244.

² الشايني في علل القراءات، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران، رقم: 1227، اللوح 141 ب.

³ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص293، 294؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص320.

⁴ الشايني في علل القراءات، اللوح 223 أ.

⁵ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص246؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص295.

بالنظر في قول ابن القَرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة إثبات الألف في الحالين بالرسم؛ بناء على أنّ لفظ (حاش) كُتِبَ في جميع مصاحف أهل الأمصار بغير ألف باتفاق.

لكنّ إثبات ألف هذا اللفظ وحذفه كلاهما مسموعان عن العرب، فمنهم من يُثبِت الألف على الأصل، فيقولون: «حاشاك»، ومنهم من يحذف الألف لكثرة الاستعمال، فيقولون: «حاشك»².

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: 10]، وقال: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾ [الأحزاب: 66]، وقال: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: 67]

في هذا الموضع قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم - في رواية أبي بكر - (الظنون، الرسول، السبيل) بألف وصل ووقفًا، وقرأها أبو عمرو بن العلاء وحمزة ويعقوب بغير ألف في الحالين، وقرأها باقي القراء العشرة بألف في الوقف دون الوصل³.

قال ابن القَرَّاب - في توجيه قراءة إثبات الألف وصل ووقفًا -: "من أثبت الألف فيها وصل ووقفًا فعلى موافقة خطوط المصاحف؛ لأن الألف ثابتة فيها في الخط"⁴.

بالنظر في قول ابن القَرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة إثبات الألف في الحالين بالرسم؛ بناء على أنّ مصاحف أهل الأمصار لم تختلف في إثبات ألف في (الظنون، الرسول، السبيل)⁵.

ولما وقعت هذه الكلمات رؤوس آيات كُتِبَت بالألف مشاكلةً لرؤوس الآيات المجاورة لها⁶، نحو: (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9]، (وَالْعَنُفُومُ لَعْنًا كَثِيرًا) [الأحزاب: 69].

3.1.3. الفواصل

ويمكن أن نعرّف هذا النوع من الاحتجاج بـ: بيان الملاءمة بين القراءة القرآنية ومنتهى رؤوس الآيات المجاورة لها. واعتمد ابن القَرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ [القمر: 6]

في هذا الموضع قرأ ابن كثير (نُكْر) بإسكان الكاف، وقرأ باقي القراء العشرة (نُكْر) بضم الكاف⁷.

قال ابن القَرَّاب - في توجيه قراءة ضم الكاف -: "ليتفق الآي"¹.

¹ الشاوي في علل القراءات، اللوح 199 أ.

² منتجب الدين الهمداني، الدرّة الفريدة في شرح القصيدة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (1433هـ/2012م)، ج4، ص197، 198.

³ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص356؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص347، 348.

⁴ الشاوي في علل القراءات، اللوح 250 ب.

⁵ ينظر: أبو عمرو الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص46؛ وأبو داود سليمان بن نجاح، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، (1423هـ/2002م)، ج4، ص999.

⁶ ينظر: أبو معشر الطبري، الحجج في توجيه القراءات، دار عمار، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، (1431هـ/2010م)، ص109.

⁷ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص421؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص216.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة ضم الكاف بالفواصل؛ بناء على موافقتها بعض الكلمات - الواقعة منتهى رؤوس الآيات - في الوزن والرَّوِيَّ - أي: الحرف الأخير -، نحو (وَدُسِّرِ) [القمر: 13]، (وَتُنْذِرِ) [القمر: 16، 18، 21، 30، 37، 39]، (وَسُعْرِ) [القمر: 24].

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: 8]

في هذا الموضع قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب وابن عامر - في رواية ابن ذكوان - وعاصم - في رواية أبي بكر - (نُكْرًا) بضم الكاف، وقرأ باقي القراء العشرة (نُكْرًا) بإسكان الكاف².

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة إسكان الكاف -: "وتصديق التخفيف قوله: (حُسْرًا)"³.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة إسكان الكاف بالفواصل؛ بناء على موافقتها بعض الكلمات - الواقعة منتهى رؤوس الآيات - في الوزن والرَّوِيَّ، نحو: (يُسْرًا) [الطلاق: 7]، (حُسْرًا) [الطلاق: 9].

4.1.3. قراءات السلف

ويمكن أن نعرِّف هذا النوع من الاحتجاج بـ: الإتيان بشاهد للقراءة القرآنية من الأحرف والروايات الواردة عن الصحابة - رضي الله عنهم -.

واعتمد ابن القُرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: 100]

في هذا الموضع قرأ يعقوب (والأنصار) بالرفع، وقرأ باقي القراء العشرة (والأنصار) بالخفض⁴.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الجر -: "من خفض فعلى معنى: ومن الأنصار، وفي حرف أُبِّي: (ومن الأنصار)، وهو تصديق من قرأ بالخفض"⁵.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة الخفض بقوله (ومن الأنصار) الوارد في حرف أُبِّي بن كعب - رضي الله عنه -؛ على اعتبار أن في الكلام محذوف مقدرٌ بحرف الجر (من) كما بينته قراءة أُبِّي بن كعب، وبناء على هذا جاء لفظ (الأنصار) مجروراً.

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: 42]

¹ الشايفي في علل القراءات، اللوح 275 أ.

² ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص 280؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 216.

³ الشايفي في علل القراءات، اللوح 217 أ.

⁴ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص 228؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 280.

⁵ الشايفي في علل القراءات، اللوح 188 أ.

في هذا الموضوع قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء (الكافر) بغير ألف على الأفراد، وقرأ باقي القراء العشرة (الكفار) بألف على الجمع¹.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الجمع -: "وتصديقه أنه ... في قراءة أُبيّ: (وسيعلم الذين كفروا)"². بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجّ لقراءة الجمع بقوله (الذين كفروا) الوارد في حرف أُبيّ بن كعب -رضي الله عنه-؛ بناء على أنّ الخطاب في هذه القراءة جاء بصيغة الجمع لا بصيغة الأفراد، ففي حرفه شاهد لقراءة (الكفار) بالألف على الجمع.

2.3. الاحتجاج باللغة

تُعَدّ اللغة من أبرز المصادر التي اعتمدها ابن القُرَّاب في الاحتجاج للقراءات، فبالنظر في أقواله نلاحظ أنّ المعايير التي اعتمدها للاحتجاج للقراءات استنادا على اللغة ثلاثة: المعنى، النحو، كلام العرب.

1.2.3. المعنى

ويمكن أن نقول بأنّ المراد بهذا النوع من الاحتجاج: ذكّر مفهوم يوضّح وجه القراءة القرآنية. واعتمد ابن القُرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا﴾ [البقرة: 259]

في هذا الموضوع قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي وخلف (نُنشِئُهَا) بالزاي من الإنشاز، وقرأ باقي القراء العشرة (نُنشِئُهَا) بالراء من الإنشاز³.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الراء -: "من قرأ بالراء فعلى معنى: نُحْيِيهَا"⁴.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجّ لقراءة الراء بالمعنى؛ حيث بيّن أنّ المراد بـ (الإنشاز): الإحياء. ولهذا القراءة شاهد في كلام العرب، يقولون: أنشّر الله الموتى فُنشِرُوا؛ أي: أحياهم فَحَيُّوا⁵.

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 17]

في هذا الموضوع قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ويعقوب (مسجد) بغير ألف على الأفراد، وقرأ باقي القراء (مساجد) بألف على الجمع⁶.

قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الأفراد -: "من قرأ بغير ألف فعلى أنه أراد المسجد الحرام"⁷.

¹ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص255؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص298.

² الشامي في علل القراءات، اللوح 204 أ.

³ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص151؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص231.

⁴ الشامي في علل القراءات، اللوح 120 ب.

⁵ ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج5، ص477.

⁶ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص226؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص278.

⁷ الشامي في علل القراءات، اللوح 185 ب.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة الإفراد بالمعنى؛ حيث بيّن أنّ المراد بقوله (مسجد الله): المسجد الحرام بعينه، ويؤيد قوله قول الله تعالى - في سياق الآيات اللاحق-: (فَلَا يَفْرُقُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) [التوبة: 28]. وعلى قراءة الجمع يراد بالمساجد: المسجد الحرام أيضاً؛ على اعتبار أنه قبلة المساجد كلها، وقيل: أنّ المراد: جنس المساجد، فيدخل تحتها المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته¹.

2.2.3. النحو

ويمكن أن نقول بأنّ المراد بهذا النوع من الاحتجاج: بيان معنى القراءة القرآنية بأحد الأوجه الإعرابية. واعتمد ابن القُرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ﴾ [مريم: 5، 6]

في هذا الموضع قرأ أبو عمرو بن العلاء والكسائي (يرثني ويرث) بالجزم، وقرأ باقي القراء العشرة (يرثني ويرث) بالرفع². قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الجزم-: "من قرأ بجزمهما فعلى أنّ (يرثني) جواب السؤال؛ لأن فيه معنى الشرط والجزاء؛ كأنك قلت: إن هب لي ولياً يرثني"³.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة الجزم بالنحو؛ على اعتبار أنّ قوله (يرثني) وقع جواباً لطلب ودعاء زكريا -عليه السلام- ربّه في قوله (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا).

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34]

في هذا الموضع قرأ عاصم وحمة (يصدقني) بالرفع، وقرأ باقي القراء العشرة (يصدقني) بالجزم⁴. قال ابن القُرَّاب - في توجيه قراءة الجزم-: "من قرأ بالجزم فعلى الجواب؛ لقوله: (فأرسله معي رداء)"⁵.

بالنظر في قول ابن القُرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة الجزم بالنحو؛ على اعتبار أنّ قوله (يُصَدِّقُنِي) وقع جواباً لسؤال موسى -عليه السلام- ربّه في قوله (فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ)؛ أي: كأنّ موسى -عليه السلام- قال لربّه: إن تُرْسِلْ مَعِيَ أَخِي هَارُونَ يُصَدِّقُنِي؛ على اعتبار أنّ القول يُصَدِّقُنِي بالحجة والدليل والبرهان.

3.2.3. كلام العرب

ويمكن أن نقول بأنّ المراد بهذا النوع من الاحتجاج: الإتيان بشاهد للقراءة القرآنية من أقوال العرب؛ سواء كانت نثراً أو شِعْراً أو لهجة لإحدى قبائلها.

¹ ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج2، ص253.

² ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص287؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص317.

³ الشافعي في علل القراءات، اللوح 220 أ.

⁴ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص340؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص341.

⁵ الشافعي في علل القراءات، اللوح 245 ب.

واعتمد ابن القَرَّاب هذا المعيار في الاحتجاج لبعض القراءات، نذكر منها بعض المواضع:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: 14]

في هذا الموضع قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بن العلاء (منسأته) بألف من غير همز، وقرأ ابن عامر - في رواية ابن ذكوان، وبخلف عن هشام - (منسأته) بهمزة ساكنة، وقرأ باقي القراء العشرة (منسأته) بهمزة مفتوحة¹.

قال ابن القَرَّاب - في توجيه قراءة ترك الهمز - : "من ترك الهمز فعلى لغة قريش"².

بالنظر في قول ابن القَرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة (منسأته) بكلام العرب؛ على اعتبار أنَّ ترك الهمز في هذا اللفظ جارٍ على لغة أهل قريشٍ إحدى لغات العرب.

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 130]

في هذا الموضع قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (إل ياسين) بفتح الهمزة وكسر اللام مفصولة عن الياء، وقرأ باقي القراء العشرة (إل ياسين) بكسر الهمزة وإسكان اللام موصولة بالياء³.

قال ابن القَرَّاب - في توجيه قراءة (إل ياسين) - : "من قرأ بالكسر فعلى أنه جمع (إلياس)، ذُكِرَ هو ومتَّبَعوه؛ كما تقول العرب: «هؤلاء المُهَلَّبُونَ والمَهَالِبَةُ» لقوم رئيسهم المُهَلَّب"⁴.

بالنظر في قول ابن القَرَّاب نلاحظ أنه احتجَّ لقراءة (إل ياسين) بكلام العرب؛ قياساً على قولهم: «هؤلاء المُهَلَّبُونَ والمَهَالِبَةُ»؛ أي: المُهَلَّب ومن معه، وبناء على هذا بيّن ابن القَرَّاب أنَّ المراد بـ (إل ياسين): النبي إلياس - عليه السلام - ومن كان على دينه.

فهذا ما يَسِّرُ الله لنا جمعه وترتيبه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

4. خاتمة:

تضمن هذا البحث دراسة منهج ابن القَرَّاب في الاحتجاج للقراءات من خلال كتابه "الشافي في علل القراءات"، فبتتبع توجيهات ابن القَرَّاب للقراءات في كتابه نلاحظ أنه اعتمد على بعض الأسس والمعايير في الاحتجاج للقراءات، وبعد دراسة منهجه تمَّ - بتوفيق الله وحده - التوصل إلى أنَّ أبرز المعايير التي اعتمدها ابن القَرَّاب في الاحتجاج للقراءات:

- **السياق:** من خلال بيان الملاءمة بين القراءة والكلام السابق أو اللاحق في الآية.
- **قراءات الصحابة:** من خلال الاستشهاد بقراءة الصحابي أبي بن كعب - رضي الله عنه -.
- **اللغة:** من خلال إيراد معني للقراءة، وإيراد شواهد لها من كلام العرب.
- **الخط:** من خلال بيان موافقة القراءة لرسم المصحف.

¹ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص361؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص349، 350.

² الشافي في علل القراءات، اللوح 253 أ.

³ ينظر: ابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص378؛ وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص360.

⁴ الشافي في علل القراءات، اللوح 259 أ.

ونوصي الباحثين بمزيد عناية واهتمام بعلم الاحتجاج للقراءات، بإفراد كل مصدر من مصادر الاحتجاج بالبحث؛ كدراسة الاحتجاج للقراءات برسم المصحف، أو بكلام العرب، أو بقراءات الصحابة، ويكون ذلك من خلال أحد كتب التوجيه؛ سواء هذا الكتاب، أو غيره من الكتب الأخرى؛ ككتاب «الموضح في وجوه القراءات وعللها» لنصر الشيرازي ابن أبي مريم (ت 565هـ). ونسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث قارئه، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

- ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
- ابن الجزري شمس الدين، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ.
- ابن الجزري شمس الدين، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن عبد الهادي الصالح، طبقات علماء الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، (1417هـ / 1996م).
- ابن القزّاب إسماعيل، الشافي في علل القراءات، مخطوط، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران، رقم (1227).
- ابن كثير إسماعيل، طبقات الشافعيين، مكتبة الثقافة الدينية، (1413هـ / 1993م).
- ابن مهران أبو بكر، المبسوط في القراءات العشر، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.
- الداني أبو عمرو، الملقن في رسم مصاحف الأمصار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (1424هـ / 2003م).
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (1405هـ / 1985م).
- الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، (1417هـ / 1997م).
- الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1413هـ.
- سليمان بن نجاح، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، (1423هـ / 2002م).
- السمعاني عبد الكريم، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، (1382هـ / 1962م).
- الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1420هـ / 2000م).
- الطبري عبد الكريم، الحجج في توجيه القراءات، دار عمار، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، (1431هـ / 2010م).
- الهمداني منتجب الدين، الدرّة الفريدة في شرح القصيدة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (1433هـ / 2012م).

References :

- Ibn Jarīr al-Ṭabarī, Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān, Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth, Makkah al-Mukarramah.
- Ibn al-Jazarī Shams al-Dīn, Ghāyat al-nihāyah fī Ṭabaqāt al-qurrā’, Maktabat Ibn Taymīyah, 1351h.
- Ibn al-Jazarī Shams al-Dīn, al-Nashr fī al-qirā’āt al-‘ashr, al-Maṭba‘ah al-Tijārīyah al-Kubrā.
- Ibn ‘Abd al-Hādī al-Šāliḥī, Ṭabaqāt ‘ulamā’ al-ḥadīth, Mu’assasat al-Risālah, byrwt-Lubnān, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, (1417h / 1996m).
- Ibn alqrrāb Ismā‘īl, al-Shāfi fī ‘Ilal al-qirā’āt, makhtūṭ, Maktabat Majlis al-Shūrā al-Islāmī, Tīhrān, raqm (1227).

- Ibn Kathīr Ismā‘īl, Ṭabaqāt al-Shāfi‘īyīn, Maktabat al-Thaqāfah al-dīniyah, (1413h / 1993M).
- Ibn Mahrān Abū Bakr, al-Mabsūṭ fī al-qirā’āt al-‘ashr, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Dimashq, 1981M.
- al-Dānī Abū ‘Amr, al-Muqni‘ fī rasm maṣāḥif al-amṣār, Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, al-Qāhirah.
- al-Dhahabī Shams al-Dīn, Tārīkh al-Islām, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, (1424h / 2003m).
- al-Dhahabī Shams al-Dīn, Siyar A‘lām al-nubalā’, Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah al-thālithah, (1405h / 1985m).
- al-Dhahabī Shams al-Dīn, ma‘rifat al-qurrā’ al-kibār ‘alá al-Ṭabaqāt wāl’-ṣār, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, (1417h / 1997m).
- al-Zamakhsharī, al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thālithah, 1407h.
- al-Subkī Tāj al-Dīn, Ṭabaqāt al-Shāfi‘īyah al-Kubrā, Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, 1413h.
- Sulaymān ibn Najāh, Mukhtaṣar al-Tabyīn li-hijā’ al-tanzīl, Majma‘ al-Malik Fahd, al-Madīnah al-Nabawīyah, (1423h / 2002M).
- al-Sam‘ānī ‘Abd al-Karīm, al-ansāb, Majlis Dā’irat al-Ma‘ārif al-‘Uthmāniyah, Ḥaydar ābād-al-Hind, al-Ṭab‘ah al-ūlá, (1382h / 1962M).
- al-Ṣafadī Ṣalāh al-Dīn, al-Wāfi bi-al-Wafayāt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, (1420h / 2000M)
- al-Ṭabarī ‘Abd al-Karīm, al-ḥujaj fī tawjīh al-qirā’āt, Dār ‘Ammār, ‘mān-al-Urdun, al-Ṭab‘ah al-ūlá, (1431h / 2010m).
- al-Hamadhānī Muntajab al-Dīn, al-Durrah al-farīdah fī sharḥ al-qaṣīdah, Maktabat al-Ma‘ārif, al-Riyāḍ, al-Ṭab‘ah al-ūlá, (1433h / 2012m).